الوقائع المصرية

للأستاذ محمود مصطفى
المدرس بكلية اللغة العربية

صحبت هذه الصحيفة « الوقائع المصرية » نهضتنا الحديثة منذ بزوغ فجرها أيام محمد على باشا ، وقدر لها أن تعيش إلى اليوم . فكانت وقد طال عمرها على غير مانعهد فى الصحف ، صورة للحياة المصرية ، والأدب العربى فى هذه المدة الطويلة وهى قرن وتزيد .

يلذ الباحث فى الحياة المصرية أن يقلب صفحات هذه الصحيفة ليرى كيف كانت علاقة الحاكم بالمحكوم ، وصلة الولاة بالرعية . وليعرف تلك الروح التى كانت تسرى فى الحياة إذ ذاك ، من جد وصراحة وحزم وتدبير ، وليطلع على تلك الأوامر التى لا تفتر فى شأن « معامل الحرير » و « مزارع التوت » و « مصانع الغزل » ، وليرى المراسلات المتصلة بين رياسة الجيش ومديرى هذه المصانع فى كل ما يتعلق بمطالب الجيش : من أردية وأحذية للجند ، وسروج ولجم للخيل .

صفحات الوقائع المصرية على قلتها فى بدء حياتها ، بحر زاخر بما كان يجرى فى الحياة المصرية من أمور ، وما كان فيها من تدبير ، وفى كل ذلك على كثرته ترى روح الوالى حاكم البلاد مطلة فى كل تصرف ، ظاهرة فى كل حادث . يعرض على مسامعه الكريمة ما يكون من أحوال الموظفين حتى صغار الكتبة . فهذا يستحق أن يزاد فى راتبه مئة قرش لجده . وذاك يقتطع منه منجما ما يكون قد بدا من عجز فيما تحت يده من مال الدولة . وذلك يقصى عن منصبه لفتور فى الخدمة وتقصير فى الواجب ، وغيره تدل الأيام على عظيم كفايته فيسند إليه عمل أجل مما كان يتصرف فيه . وهذا الأجير بالمياومة يشكو فتحل شكواه من عناية ولى الأمر محلا لائقاً ويرى ضرورة إنصافه فيبلغ به غاية الرضا .

وفى هذه الصحيفة ترى أقدار الناس فى مصر ظاهرة واضحة ، يدلك على ذلك خبر سيق فى الصحيفة عرضاً ولكنه يحمل فى نفسه ما كان يحمله ذلك العصر

لطائفة من الناس من التجلة والأكبار ، فيكون ذلك الحادث أو الخبر الصغير فى نظر المؤرخ مادة يبنى عليها آراءه ويشيد قواعد أحكامه على تلك الفترة من الزمن

ومن ذلك ماورد فى أحد أعداد سنة ١٢٤٩ هـ تحت عنوان « حوادث المشورة الملكية » وهو : « حضرة نجل الشيخ المهدى قدم تقريراً للديوان الخديوى وأحيل على المشورة الملكية ذكر فيه أن ملتزم كمرك بولاق حجر على أشياء من ماله ليأخذ الكمرك منها ولما كان أخذ الكمرك من الأشياء التى تأتى بيوت أهل العلم من ملبوس وما كول غير مسبوق به طلب أن يصدر أمر للملتزم المرسوم بتسريح الأشياء المذكورة وحيث أن مساعدة أمثال هؤلاء العلماء العظام من مقتضيات الإرادة السنية حرر إشعار إلى ملتزم الكمرك بأطلاق الأشياء التى عنده المتعلقة بالشيخ المومى إليه وأشعر جنابه بذلك » .

وفى هذا الخبر بيان لمقدار علماء ذاك الزمان فى نظر الحكومة وما لهم من كرامة جعلت لهم هذه الميزة التى لا يتمتع بها الآن إلا الوزراء المفوضون تكرم الحكومة المصرية فى شخصهم حكوماتهم التى يتبعونها وتلك منزلة سامية لعلمائنا تدل أوضح دلالة على مقدار الرعاية والعناية التى تبعثها فى نفس الحكام مكانة هؤلاء العلماء بين عامة الشعب.

الغرض من اصدار الوقائع المصرية

هو الغرض الذى تقصده اليوم أرقى الشعوب من إصدار الصحف . وقد حاولت إدارة الوقائع أن تحقق ذلك الغرض ولكن كان على حسب ماسمح به الوقت وأمكنت الأسباب .

والذى يدلنا على أن تلك الأغراض قامت فى نفس أولى الشأن يوم أصدروا الوقائع ، ماتراه فى أول عدد من أعدادها وهو الذى صدر فى يوم الثلاثاء ٢٥ من جمادى الأولى سنة ١٢٤٤ هـ الموافق ٣ من ديسمبر سنة ١٨٢٨ م . فى كلمة الافتتاح تبين الحكومة السبب فى إصدار الوقائع المصرية . ولهذه الكلمة أهميتها فهى أول قطعة أدبية أو نموذج إنشائى فى لغة الصحافة العربية عامة ؛ إذ قد ظلت الوقائع إلى سنة ١٨٥٨ وليس فى العالم العربى كله صحيفة سواها .

وتلك هى الكلمة (١) :

الحمد لله بارئ الأمم ، والصلاة والسلام على سيد العرب والعجم . وبعد فإن تحرير الأمور الواقعة من اجتماع جنس بنى آدم المندمجين فى صحيفة هذا العالم ، ومن اختلافهم فى حركاتهم وسكونهم ومعاملاتهم ومعاشراتهم ، التى حصلت من احتياج بعضهم بعضا ، هى نتيجة الانتباه والتبصر والتدبير والإيقان وإظهار الغيرة العمومية ، وسبب فعال منه يطلعون على كيفية الحال والزمان . وهذا واضح لدى أولى الألباب . ومن حيث أن الأمور الدقيقة الحاصلة من مصالح الزراعة والحراثة وباقى أنواع الصنايع التى باستعمالها يتأتى الرخاء والتيسير ، هى أسباب للحصول على الرفاهية وعلى الاجتناب والاحتراز مما ينتج منه الضرر والأذا (كذا) خصوصا فى مصر ، بل هى أساس نظام البلدان وتدبير راحة أهلها . ففكر حضرت (كذا) أفندينا ولى النعم فى ترتيب أحوال البلاد وتمهيدها واعتدال أمور أهلها وتوطيدها وفى نظام القرى والبلدان ورفاهية سكانها وراحتهم ، ووضع ديوان الجرنال قاصدا من وضعه أن ترد الأمور الحادثة الناتج منها النفع والضرر إلى الديوان المذكور ، وأن ينتخب وينقح فيه منها ما منه ينتج النفع والإفادة ، حتى إذا ظهر عند المأمورين نوعا النفع والضرر ينتخب ما منه تصدر المنفعة ويتجنب عنه ما منه يحصل الضرر . وهذه الإرادة الصالحة الصادرة من حضرة سعادة ولى النعم وإن كانت قد جرت فى ديوان الجرنال إلى الآن إلا أنها لم تكن عمومية . إنما الآن فأراد ولى النعم أن الأخبار التى ترد إلى الديوان المذكور تتنقح ، وينتخب منها ما هو مفيد ، وتنشر عموماً مع بعض الأمور التى ترد من مجلس المذاكرة السامى . والأمور المنظور بها فى ديوان الخديوى ، والأخبار التى تأتى من أقطار الحجاز والسودان ، ومن بعض جهات أخرى . وذلك ليكون كله نتيجة للحصول على الفوائد الحسنة التى هى مقصود ولى النعم ، وتقويماً لممارسة المأمورين الفخام

(١) يلاحظ أن كتابة ذلك العهد ظلت بلا ترقيم ولا تنسيق ، ولكننا لم نرد أن نعرض على القارىء صورة لم يألفها حتى لا يعنت بقراءتها ، فأدخلنا على هذا القطعة الترقيم الذى هو حسنة من حسنات الكتابة فى عصرنا الأخير .

وباقى الحكام الكرام المقلدين تدبير الأمور والمصالح . ومن كون هذا الشيء قد لاح فى ضمير الذات السنية ولى النعم صدر أمره الشريف بطبع الأمور المذكورة وانتشارها عموما مستعينا بالله . وقد سميت واشتهرت بالوقائع المصرية ، وبالله حسن النية .

بعض أغراض الوقائع المصرية

كان من بين أغراض الوقائع المصرية تقييد الأخبار الغريبة عن عجائب المخلوقات وما قصدوا من إيرادها إلا تذكير الناس بقدرة الله سبحانه وتعالى وسيطرته على هذا الوجود بخلق ما يشاء كما يشاء . إنه على كل شيء قدير . ومن ذلك ما ورد تحت عنوان « غريبة » من أن رجلا من أهالى بولاق لما حان وقت نتاج بقرته وتعسر ذلك عليها شق بطنها فخرج عجل له رأسان وأربع عيون وأربع آذان ولكنه لم يبق إلا ساعات ثم مات فقدده الرجل وعلقه فى محل مشهور عبرة للناظر . قالت الصحيفة : (واذ بلغ ذلك مسامع عزيز مأمور الوقائع المصرية قيد ذكر ذلك بها فسبحان من تحير ذاته وقدرته سواه) .

مثال فى جرائمهم

وقد ورد ببعض الأعداد أن قدرى أغا أخا حسن بك القبرصى بعد أن تزوج بابنة حسن أفندى الدمنهورى زعم (بخفة عقله) أن لها مالا موروثا لم تطلعه على دخيلته فطالبها به فأنكرت فمثل بها بأن جدع أنفها مرة ثم استمرت منكرة فقطع أذنيها وفى مرة ثالثة قطع شفتها السفلى وبدىء التحقيق فاعترف المجرم بجريمته قائلا (قد اقتديت بالشيطان وفعلت هذا) فألقى فى السجن ثم صدر الأمر العالى بأن ينفى الى نواحى بلاد الروم بعد أن طلقت زوجه منه .

المن على الأهالى

هذا غرض جسيم من أغراض الصحيفة وإن لم يذكر فى ثبت أغراضها التى وردت فى الكلمة السابقة . فإنك تراه ماثلا فى كل خبر يرد بها حتى حركات

الوالى وانتقاله من جهة إلى أخرى يحمل فيها الأهالى عبء المنة عليهم بأن ذلك كان من أجل توفير السعادة لهم .

فأذا ذكروا أن قصر المحلة المخصص لنزول الخديو محمد على باشا محتاج إلى بعض الحجارة لبنائه قدموا لذلك بقولهم :

« إنه من حيث إن الارادة السنية هى بلا شك حصول الراحة والرفاهية للعباد ، واعتدال أمور القرى والبلدان ونظامها اقتضى السير والجولان من الذات الكريمة الى القرى الكائنة فى الأقاليم التى يمكن أن يتشرف بعضها بقدومه . فمن هذه الحيثية لزم أن تبنى قصور ومحلات لتشريفه . . . ، وإذا ذكروا أن الكراءات (سفن الطين كما كانوا يسمونها) التى تعمل فى ترعة المحمودية محتاجة إلى الاصلاح . قدموا لذلك بهذه المقدمة :

« إن ترعة المحمودية التى أنشتها الهمة العلية السنية نعما مترادفة لأجل راحة أهالى الاسكندرية ورفاهيتهم ، ولأجل تسهيل بضائع التجار الواردة والشاردة ، ولأجل تيسير أمور الحجاج فى دخولهم وخروجهم ، قد يلتصق ويتمسك بأرضها عند زيادة النيل طين ووحل كثير . . . . »

واذا احتاج مصنع الغزل الى زجاج لنوافذه ورد فى الصحيفة التبليغ الآتى :

« إنه لتيسير أسباب التجارة وتحصيل معايش الأهالى أنشىء فبرقة الغزل فى ناحية ملوى . وقد اقتضى إلى شرابح شبابيك المحلات الكائن فيها التشغيل إرسال ثمانمائة آلاف زجاجة (أى قزازة) واتضح ذلك من مأمورها الى عيد افندى ناظر الأبنية . فمن ثم أرسل له من ديوان الأبنية ثمانمائة آلاف زجاجة كما هو معلوم . . . »

وأرى أن هذا المن أحلى فى ذوق من المن وأبرد وقعا على كبدى من البارد العذب . فهو مَنٌّ بخير محقق ، وتسجيل لنعمة جليلة الأثر ، فأين هذا من منّ بعض الناس بما لا خير فيه بل بما فيه الضرر البالغ ، والعقوق للمروءة والأمانة . على أن فى طبيعة الناس إنكار الجميل وجحود الفضل أفلا نبيح لأهل الأصلاح

الحق والنعمة الثابتة أن يسجلوا علينا نضلهم ويعرضوا على المنصفين ولو من غير جيلهم ماقدموا من إحسان

هذا إلى أن شأن مصر مع محيي مواتها ومجدد شبابها محمد على باشا هو شأن غير بقية الشؤون فأنه إن سكت تكامت أعماله ولكنه ككل المصلحين يريد (كما غرس شجرة القطن بأرض مصر) أن يغرس محبته فى قلوب المصريين . فلا بأس إذا مهد لذلك بالأعمال الطيبة وتفهيم الناس ناحية الخير فيها والنيات الصالحة التى تقدمتها ودعت إليها .

وإنى لأفهم فى هذا المن معنى آخر غير كونه منا وتذكيرا بالنعمة وتسجيلا لها ، فهو قبل أن يكون منا بالنعمة كان بيانا لقيمتها وتوضيحاً للغرض منها . يشرح ذلك لقوم غلبهم الجهل على أمورهم ورزحوا من الماضى البشع تحت أطباق تتراكب فيها الظلمات فلا يدرك أحد ما تحت قدمه لطول ما أثرت الظلمة فى إضعافه . وظنى أن المصريين على عهد محمد على باشا لو لم تشرح لهم قيمة القناطر الخيرية وميزة ترعة المحمودية لظنوها طلسما ولم يفقهوا لها غاية .

الوقائع المصرية فى نظر مؤرخ الأدب

هذا جانب آخر من الجوانب التى يستجليها متصفح هذه الصحيفة وهو جانب يطول فيه القول ويحسن التفصيل لنثبت لدارس تاريخ الأدب حقائق ترجع إلى الدراسة الممعنة فى هذا الأثر الجليل .

والحق أن الذى نقرؤه إلى الآن فى كتب الأدب عن هذه الصحيفة لاتؤيده شواهدها ولا يدل على أن قائليه والحاكين به صدروا فى حكمهم عن اطلاع ذاتى على هذه الصحيفة وتقليب النظر فيما وقع بأيدينا من مجموعاتها .

قرأت فى بعض الكتب التى تحدثت عن هذه الصحيفة أنها كانت تصدر أولا بالتركية ثم صارت تصدر بالعربية . وهذا قول لعلهم استنبطوه استنباطا من كون التركية كانت فى أول عصرنا الحاضر هى ذات الشأن والسيطرة فى الحكومة المصرية . وقد يكون لهذا الحكم العام نصيب من الصحة تمثل فى نواح

أخرى غير الوقائع المصرية فإنها منذ أول صدورها كانت تصدر بالتركية والعربية : كانت الصفحة الواحدة تجعل نهرين فالأيمن بالتركية والأيسر بالعربية . والذى فى هذا هو معنى مافى ذاك . وهذا متجل ظاهر لأول نظرة فى أول عدد . فلو أن مصدر هذا الحكم كلف نفسه الذهاب إلى دار الكتب المصرية واطلع على مجموعة الوقائع هناك ما كان منه هذا الحدس الخاطىء

كذلك يذكرون تطبيقا للقاعدة العامة وهى أن لغة الكتابة كانت مسجوعة محشوة بأنواع البديع وإن لغة الوقائع المصرية كانت بهذه المثابة حتى حررها من هذا الأسر الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده حين تولى الكتابة فيها وهذا أيضا حكم خاطىء طبقت فيه النظرية العامة تطبيقا لم يراع فيه نصيب الحقيقة والواقع . والذى يراه المطلع على الوقائع المصرية فى نصف القرن الأول من صدورها أن لغتها ليس فيها شىء من التكلف الذى يبدو فى لغة الرسائل أو الأدب الفنى (كما يقولون) فى ذلك العصر . فهى عبارة ساذجة خالية من كل تحسين لا يراد منها إلا أداء المعنى وإقراره فى نفس القراء ، وإن كان يحول دون ذلك ضعف الكتاب وركة أسلوبهم حتى يلتوى عليهم القصد فى حين ، ولا يستطيعوا أن يكشفوا عن كل غرضهم فى كثير من الأحيان . فأنت إذا قرأت عباراتهم خيل اليك أنك أمام عيى يحاول أن يفهمك مافى نفسه ولكنه غير مستطيع الوصول إلى هذا برغم اجتهاده . ولما بدأ يكتب فيها الأستاذ الامام يحس المتتبع لهذه الصحيفة أن هذا العيى قد يسر الله له القول وحل عقدة لسانه فصار يبسط لسانه فى كل مايريد ويصل فى الأفهام الى قرارات النفوس لا يترك فى نفسه أو فى نفس القارىء حاجة إلا أتى عليها

ذلك ما أردنا التنبيه إليه وهو أن يعتمد مؤرخ الأدب على حكم نفسه بعد أن يكون قد تذرع بكل الوسائل لهذا الحكم من أدلة وشواهد ، فان الله سيفتح عليه بالصواب فى حكمه إن كان قد وهب له من الجدارة وحسن التقدير مايجعله أهلا الاستنباط .

وفى سبيل الاستدلال على أن السجع لم يكن ظاهرة التعبير فى لغة الوقائع

المصرية منذ نشأتها تنقل هذا الخبر الذى حاول فيه الكاتب أن يحلى عبارته ويزينها ويجعلها مثالا للكتابة الفنية ، ولكنه لم يخطر على باله السجع . وذلك فى عدد ١٠ شوال سنة ١٢٤٨ هـ تحت العنوان الآتى :

حوادث المشورة العسكرية

لما كانت نواحى كردفان منذ ألحقت بالحكومة المصرية ودخلت تحت رعايتها قد صار أهلوها مرهفين الحال منعمين البال فى ساحة ظل سعادة الخديوى وكان حواليها جبال خالية من السكان قد توطن بها جماعة من الخلق اتخذوا سلوك سبيل الشقاوة ديدنا وانطووا على نية إيصال الضرر إلى الذين هم تحت الطاعة ورفعت مضرتهم واقتلعت عروقهم . ثم بعد ذلك أخذ بعض أشقيائهم يسلك سبيل الضلال وبعضهم يرتكب قطع الطريق وكانت قبيلة حلال ممن سكن هذه الجبال وخرج من دائرة الطاعة وخلع ربقة الانقياد وبرز فى حومة العصيان وهم لم يقصدوا مع ذلك بالضرر ، أرسل رستم بك أمير الآلاى الأول من المشاة المقيم بكردفان إلى كبراء القبائل بترك هذه الأفعال القبيحة إذ هى طريق لا يسلك وفهمهم أن يشتغلوا بالطاعة والأدب حيث كان ذلك موجبا للفلاح فأصروا على عصيانهم ولم يستمعوا للوصايا الواقعة منه . فرجع الأمير المومى إليه إلى طبيعته الرسمية وجهز سليم أغا البكباشى الثانى من الآلاى المذكور بنحو سبعمائة رجل من عسكر الجهادية أصحاب الفوز والظفر وأرسله على هؤلاء الأشقياء فسار إليهم البكباشى المومى إليه بمن معه من العسكر الموعود بالنصر متوكلا على الله ومستنداً لتوفيقه ولما أن حصلت الملاقاة تصدى للمحاربة وعلى مقتضى مظهر طالع النصر الباهر لحضرة الخديوى بامداد الله الملك القاهر وإعانته لجيوش الجهادية ذوى الظفر ظهر نور طالع النصر الزاهر . ولما لم يكن لهؤلاء الأشقياء طاقة على نار العسكر المنصور ارتفعت إلى السماء زلازل فرارهم وسلك بعضهم مسلك الفرار وصار أكثرهم فى قيد الأسار ، اعتبر رئيس هؤلاء الأشقياء وفرغ باله من الفعل المكروه الذى ارتكبه وأرسل عمه طالبا محو سيئاته من دفاتر عصيانه

مخبرا بادخال رقبته فى ربقة الانقياد والطاعة وأنه يبذل ماتى عين ممن يصلح لعسكرية الجهادية والتعليمات الحربية وأربعة آلاف مقطع من القماش . ولما كان كل من تشبث بأذيال العفو كائنا من كان تقبل منه توبته . . . فقد خلعت عليه خلعة إكراما له وتأمينا وتأليفا ودخل بعون الله فى زمرة الرعية .

نعم انه بعد سنة ١٢٨٥ هـ حين طغى الأدب على الوقائع المصرية كما قلنا ظهر السجع الى جانب الشعر . وإن كانت الوقائع لم تصبح ميدانه الواسع المجال كما كانت روضة المدارس ترفل فى حلله فى كل ما يكتب فيها .

ومما جاء من سجع الوقائع ماورد بالعدد الصادر يوم ٥ من المحرم سنة ١٢٩٠ هـ بشأن التهنئة بالسنة الهجرية الجديدة وهو :

فى يوم الجمعة الماضى الذى هو افتتاح سنة ١٢٩٠ الجديدة الهجرية بادر كثيرون من حضرات العلماء الاعلام والأمراء الفخام والمعتبرين الكرام الى سراية عابدين البهية ، بالصفة غير الرسمية . وتشرفوا بالدخول فى حضور الحضرة الكريمة والخديوية بناء على الرخصة السنية وأدوا الرسوم الحسنة فى التهنئة بدخول تلك السنة ثم عادوا مسرورين ، ومن تلك الحضرة الفخيمة ممنونين . أبقاه الله الى كل عام ، بمزيد الإجلال والإعظام . وفى ذلك ورد ممن يعجز اللسان عنه أن يفشى محاسن شمائله لأنه يقف لديها كل منشى من أصبحت درر منظومه كالقلادة لجيد هذا العام أو الوشاح للخصر ، حضرة الجناب الأكرم السيد على أبى النصر . هذه التهنئة السنوية المتشرفة بمحامد الحضرة الخديوية قال :

أراك أراك الحى تحمل غردا فهل كلما غنتك تذكر خردا

اجتماعيات العصر الماضى

ولا يفوتنا وقد وصفنا قلم الشيخ محمد عبده فى الوقائع المصرية أن نذكر مثالا من كتابته ، ورد بالعدد ١١١٦ بتاريخ مايو سنة ١٨٨١ تحت عنوان : « عوائد الأفراح »

* * *

إن أبوى البعل هما اللذان يختاران فى الغالب زوجة لولدهما غير ملاحظين فى فى شروط اقتنائها غالبا إلا أن تكون من عشيرة تعادلهم فى الثروة والصيت أو تزيد عنهم فيهما ، فاذا ظفروا بذلك سارعوا إلى خطبتها ، وإن كانت خبيثة الذات قبيحة التربية ، وأكرهوا الولد على قبولها إن لم يتحد معهما مقصدا . ولا يخفى ما فى ذلك من النتائج المضرة بالزوجين معا . ويدفعان من الصداق ما يرضى أبويها ولو حملهما دينا باهظا وكلفهما حملا ثقيلا .

إذا أتى وقت الدخول بها توجهت نسوة ورجال عديدون من أقرباء الزوجة الى منزل الزوج وأخذوا ما يكفيهم من السمن والعسل والقمح والدقيق وغيره (من غير أن تأخذهم شفقة على عويل أهل المنزل وصراخهم) ليعدوه طعاما ليلة الزفاف . وبعد ذلك إذا أراد آل الزوج أن يأتوا إليه بمخطوبته تبعتهم جموع كثيرة : فئة تضرب بالسلاح ، وقوم يلعبون بالحطب ، وجماعة تتسابق على ظهور الخيل ، ولفيف من النسوة والفتيات يترنمن بأصوات يخالها السامع أنها منبعثة عن متوحشات إفريقية الجنوبية . هذا مع اختلاط الذكور بالإناث والصغار بالكبار ، حتى اذا جاءوا بيت الزوجة وأرادوا حملها على الهودج المعد لزفافها ؛ كان دون فتح القاعة التى هى فيها ، صعوبات أخفها تمنع أخيها وخادمها عن فتحها حتى ينقده والد الزوج ما يرضيه من النقود ، وكذا يرضى جميع خدم أبيها وحاشيته ، وهذا هو المسمى عندهم (بلصة) وأما والدة الزوجة فإن كسوتها يبعثها إليها الزوج قبل الزفاف بنحو شهر ، على شرط أن تكون مضارعة لكسوة العروسة وإلا ردت اليه وطولب بأثمن منها .

والمقال طويل فيه كما ترى عادات لم نعد نراها بل لم نكن سمعنا بها . ولكن المقام يضيق عن نشره .

مجموعة الوقائع المصرية

إن الأسف ليخالط نفوسنا حين نذكر أن مجموعة هذه الصحيفة فى دار الكتب المصرية غير تامة ، بعد ما علمت من كونها مصدر حكم صادق لمؤرخ الحوادث ، والآداب ، ودارس أحوال الشعوب .

على أن هذه المجموعة مع نقصها أوفى بجاميع تلك الصحيفة فى جميع المكاتب التى عنيت بجمعها، فهى أم فى من مجموعة المكتبة الملكية بقصر عابدين، ومكتبة الدفترخانة بالقلعة.

والموجود بدار الكتب المصرية من سنى هذه الصحيفة هو من سنة ١٢٤٤ هـ إلى سنة ١٢٤٩هـ.

وفى هذه الفترة ترى التركية إلى جانب العربية فى عدد واحد كما وصفنا.

ثم من سنة ١٢٦٢ إلى سنة ١٢٦٤. وفى هذه المدة كانت التركية تنفصل عن العربية فيصدر من العدد الواحد صورتان: إحداهما بالتركية والأخرى بالعربية.

ثم من سنة ١٢٨٥ إلى الآن.

ومن سنة ١٢٨٥ تفاجئنا الوقائع المصرية بمظهر جديد. وهو الصورة التى نراها عليها الآن. وقد كتب فى صدرها كلمة «الوقائع المصرية» بخط الثلث الجميل، ودخلتها العنوانات، ولم تكن بها من قبل فصرنا نجد فيها عنوان «الحوادث الداخلية» و«الحوادث الخارجية». كما طغى فيها الأدب والشعر طغيانا ظاهرا يتمثل خاصة فى المواسم من الأعياد العامة وأعياد الميلاد، ومناسبات الزواج والسفر والقدوم وغيرها من كل ما تحسن فيه التهنئة.

كما صارت تطبع بمطبعة بُلاق بعد أن كانت تطبع بمطبعة القلعة.

الأدب العربى فى الوقائع المصرية

قدمنا لك وصفا عاما لعبارة الإنشاء بالوقائع المصرية. وهى عبارة لم يكن يستطيع أهل هذا العصر أكثر منها فى الدلالة على مرادهم، ولا أقوى فى التعبير عن خلجات نفوسهم. وقلنا إنها عبارة قاصرة ضيقة حرجة يضيق بها صدر القارىء منا حين يرى معانى كثيرة جالت فى نفس الكاتب ولكنها لم تجد من ألفاظه منفذا تطل منه على الوجود. وكم يرثى أحدنا لهذا البكم الذى يعانيه أهل ذاك العصر! ولعلهم فى أنفسهم كانوا مغتبطين بإنشائهم مدلين بقوة بيانهم تترنح أعطافهم حين يرددون تلك الأساليب الخربة المتهدمة التى تختنق تحت ردمها تلك المعانى المظلومة التى لم يستطيعوا أن ينفسوا عنها خناقها.

ولكن مع كل هذا الضعف هل فات أدباء هذا الزمان الاجتهاد ومحاولة الكمال إنهم لم يألوا جهدا فى تنقية عباراتهم من شوائب الخطأ النحوى . وتلك ظاهرة عجيبة ، لا تكاد تعثر بغلطة نحوية مع أن ملابسات النقص فى هذه التعابير كانت تحمل على الظن بوقوع كتابها فى كثير من هذه الأغلاط ، ولكنهم اجتهدوا وأدوا ما فى أعناقهم من أمانة علم النحو . وهو كل ما كانوا يعرفونه من العربية وآدابها فى أوائل هذا العصر ، وهذا اجتهاد محمود منهم .

العناية باللغة

ومن آثار اجتهادهم ومحاولتهم الكمال ما يراه المطالع لصفحات الوقائع المصرية ، كلما مر بكلمة من العامى أو الدخيل . فانه يرى الكاتب يجتهد فى البحث عن اللفظ العربى الذى يؤدى معناها فيذكره معه ليفهم القارئ أن هذا العامى أو الدخيل يؤدى فى العربية بهذا اللفظ ، كما أنهم يضعون من عند أنفسهم وبوحى حرصهم على العربية وتنقيتها من الأعجمى جهد طاقتهم ، ألفاظاً لمسميات أعجمية وقد يكونون مخطئين فى هذه المحاولات ، ولكنهم مشكورون مهما بعدوا عن الصواب ، للنيات الطيبة التى تمثلت فى هذه المحاولة .

فمن ذلك تفسير الخراسان بدقيق الخزف (١) والقزازة بالزجاجة والجلاّبين بالنخاسين ، والعسل بالدبس (٢) . كما وضعوا كلمة سفن الطين للكراكات ، وكذلك المساجلة بدل الشدف (٣) .

---

(١) هذا خطأ فإن الخزف ما اتخذ من الطين ، أحرق بالنار حتى صار فخارا وليس هو المرادف لكلمة خراسان .

(٢) أرادوا بذلك الدلالة على خطأ الناس فى استعمال كلمة عسل فيما يتخذ من عصير القصب مثلا فإن صوابه الدبس لأن الدبس عسل التمر ونحوه . فأما العسل فهو خاص بما يجمعه النحل فى خلاياه .

(٣) حقا إن الشدف ليس فى اللغة بمعنى نقل الماء من الترعة إلى الأرض بهذه الآلة المعروفة باسم الشادوف والدالية يؤدى هذا المعنى اذ هى الدلو كما تؤديه كلمة منزفة

الشعر فى الوقائع المصرية

أول شعر تقع عليه العين فى هذه الصحيفة هو بيتان ذيلت بهما أخبار عيد الفطر عام سنة ١٢٤٤ وكان أول عام أجريت فيه مراسم التشريف . فإن ولى النعم أمر أكابر دولته أن يتسربلوا بلباس كلباس العساكر وجعل لهم عشر مراتب يتميز بها بعضهم عن بعض وأمرهم أن يضعوا على كسوتهم حسب مقدرتهم ماسا وذهبا علامة على أنهم حازوا لديه شرفا . فتم ذلك ودخلوا عليه للتهنئة بالعيد وتشرفوا بلثم ذيله متعاقبين من الضحى إلى العصر منادين بهذا النداء (بارك الله فيك وأحسن اليك) وهذان هما البيتان :

إن كنت تطلب رفعة وأمانا من كيد هذا الدهر واطمئنانا
لذ واعتصم بمقام ذى الملك الذى فاق الأنام وقد علاهم شانا

ثم يعود الشعر فيختفى من صفحات الوقائع حتى يطفح كما قلنا منذ عام سنة ١٢٨٥ فى ١٧ رجب من هذ العام كان عيد ميلاد الخديو اسماعيل

ومن هذه التهنئات تهنئة الأديب اللبيب محمود صفوت بقصيدتين . أما أولاهما فمطلعها :

وجودك فى الدنيا حياة المكارم وجودك قد أحيا هبات الأكارم

وأما الثانية فيقول فيها :

فمن آل إبراهيم فينا بقية ومن آل إسماعيل خير الخلائف
به علم الملك الخديوى قد علا وأصبح فى ظل من الأمن وارف
فشيد ركن الدين عوذاً لمن سعى وضيفاً لمن لبى وأمنا لخائف

وقد ختمت بالتاريخ على عادة أهل هذا الزمن

وفى كل فن زال أو زاد أرخوا بعهد الخديوى جاد جمع المعارف

١٢٨٥

ثم يتولى ظهور الشعر فى الوقائع فترى فى عدد آخر من هذه السنة (١٢٨٥) قصيدتين من شعر الشيخ محمود العالم فى تهنئة الشيخ العروسى شيخ الجامع الأزهر

لما ناله من تكريم الخديو اسماعيل باشا بمنحه نيشانى الرتبة الثانية المجيدية والعثمانية ، فمن الأولى :

لشيخ شيوخ العلم فى رفعة الشان معال بها يلتاع فى كيده الشانى
عروسى مصر أوحدىّ زمانه سلالة علم من قديم وعرفان
فآباؤه شم الأنوف أكابر يدين لهم كل من الإنس والجان
له فن لقمان وزهد ابن أدهم وفكر إياس فى فصاحة سحبان
به يتجلى أزهر العلم والتقى ومورد أهل الفقه فى كل بستان

وختامها

ومولاك فاشكره وأعلن مؤرخا نشان مجيدى سليم وعثمانى

٤١١ ٦٧ ١٣٠ ٦٧٧

١٢٨٥

وأما الثانية فيحسن نقلها كلها لما فيها من وضوح صورة الشعر وشعر العلماء خاصة فى ذلك الزمن وهى :

إن شيخ الإسلام أيده الله تعالى بالنصر والتعزيز
العروسى أوحد الناس فى الفضل وأين الأنهار فى الراموز (١)
فائق الناس فى العلوم بذهن يتلظى فهما وقلب جميز (٢)
فلتنبيهه بتحرير لب بهجة دونها بسيط الوجيز (٣)
من أحاديثه تشم شذا المسك وريا الكافور والشونيز (٤)
أهديت تحفة القبول إليه وتمام الإقبال فى التنجيز (٥)

---

(١) الراموز : البحر .
(٢) رجل جميز القلب : ذكيه
(٣)
(٤) الشونيز : الحبة السوداء
(٥) يريد الإنجاز

طرزتها يد الخـــديو بإجلا ل فما أبهى ذاك من تطريز (١)
مرسل الجود فى الوجود ومسدى كل خير من عسجد وخزوز (٢)
بنشانات رصعت بجـــلال من بهى الياقوت والابريز (٣)
فهنيئـــا له بها وهنيئـــا بتهان وافت بمدح غريزى
فاتم تاريخهـــا لبيت رقيق جامع مانع لمعنى وجـــيز
٤٤٢ ٤١٠ ١١٤ ١٦١ ١٣٢ ٢٦

١٢٨٥

لك شان زها وجد جليـــل بنشـان السلطان عبد العزيز
٥٠ ٣٥١ ١٣ ١٣ ٧٣ ٤٠٣ ١٨١ ٧٦ ١٢٥

١٢٨٥

ويحسن أن نمثل لنوع عجيب من القافية لم نر له أمثلة كثيرة فى شعر هذا العصر ، ذلك أن يجعل الشاعر موضع القافية صالحا لعدة كلمات تحل إحداها محل الأخرى ويبقى التئام المعنى مع لفظ البيت ، ومن ذلك ماقاله الشيخ عبدالغنى الرافعى فى تهنئة الخديو اسماعيل بالعام الهجرى سنة ١٢٩٠ هـ ومن هذ القصيدة قوله :

أما وأياديك الكرام المواهب لأنت بهذا الدهر أكرم واهب

فكلمة القافية وهى واهب يصح أن تبدل بها الكلمات : ماجد ، كابر ، عاطف ، كافل ، راحم ، كائن .

والبيت الثانى :

وأنت جمال العصر يا كهف أهله وأبوابك العليا حمى كل طالب

وبقية القوافى على الترتيب قاصد ، حائر ، خائف ، سائل ، قادم ، ظاعن . وهذا فن عجيب وعناية زائدة بخدمة اللفظ فى الشعر .

---

(١) لابد فى صحة قراءة هذا البيت أن تجعل كلمة خديو غير مشبعة الكسرة وأن تحذف الالف من أبهى .

(٢) الخزوز : جمع خز ، ولم تكن عادة الخديو ولا عادة زمنه هبة الثياب .

(٣) الذهب الإبريز ، أى الخالص .

آثر عهد الآداب بالوقائع المصرية

منذ نشطت الآداب فى أيام الخديو إسماعيل باشا ظهر أثر هذا النشاط فى الوقائع المصرية ، فرأينا الشعر يكثر فيها حتى أن بعض أعدادها يخلو من كل شىء إلا قصائد الشعراء وأقوال الأدباء فى مناسبة من المناسبات .

ولقد كان من نشاط الآداب فى الوقائع أن اتبع فيها ما كان يجرى فى مجلة روضة المدارس ، من نشر كتب أدبية فى صفحات مستقلة تنشر تباعا مرقومة رقما غير رقم صفحات المجلة ، حتى يستطيع من يحرز المجلة باستمرار أن يصل هذه الصفحات فتكون مجموعتها نسخة من هذا الكتاب .

اتبعت هذه الطريقة فى الوقائع المصرية ، التى يظن أكثر الناس أنها صحيفة إدارية لا تعنى بغير نشر الأوامر والمراسيم فنشر بها على هذا النمط كتب كثيرة من بينها كتاب فى أربعين صفحة من القطع المتوسط . وهو رسالة من تأليف السيد صالح بك مجدى فى مناقب المرحوم رفاعة بك رافع ، وهى أوفى ترجمة فيما نعلم لهذا الرجل النابغة ، الذى ملأ هذا العصر بمجده وآثاره . وعلى أيام الشيخ محمد عبده كان يكتب بها المرحومون : سعد زغلول باشا وقاسم أمين بك والشيخ عبد الكريم سلمان . ثم منذ سنة ١٨٨٥ م قصرت على نشر الرسميات إلى الآن . وأظن أن ذلك إنما كان لظهور صحف كثيرة ومجلات أخذت على عاتقها خدمة الأدب ، فتوفرت الوقائع المصرية على نشر القوانين وغيرها من الرسميات . ؟

محمود مصطفى

— ٥ —

قال بعض العلوية لأبى العيناء : أنت تبغضنى ولا تصح صلاتك إلا بالصلاة علىّ ، لأنك تقول : اللهم صلّ على آل محمد ؛ قال : إذا قمت الطيبين خرجت منهم .